

التشيع في السودان

مجاهد أحمد النور الزاكي

التشيع في السودان ضارب الجذور في الوجدان الشعبي الديني، ولا نبالغ إذا تبيننا آراء متأخري الباحثين ومحدثهم أن الإسلام إنما دخل السودان وهذا القسم من أفريقيا على ידי القبائل والشخصيات العلوية والشيعية الهاربة من نير الحكم الأموي والعباسي ثم الأيوبي والمملوكي، وسيتضح لكل باحث أن التشيع مكون أساسي في التدين الإسلامي السوداني وما جاوره في بلاد أفريقيا.

وبعد أن تشيعنا واطلعنا على طرف من تفاصيل المذهب في أصول الدين والفقه والآداب العامة والمعاملات، لم نعد نحار في عزو كثير ما كنا نراه من إضافات في العبادات ليس لها أصل فقهي سني مشهور، وكذا بعض الأدعية والنصوص التي كنا نسمعها والتي ظنناها ابتداء لكبار رجالات الصوفية وكنا نظن أنها منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى الإمام السجاد عليه السلام خطأً وتجاوزاً فكل الصوفية ينسبون ما بأيديهم إليهما.

ولكن التشيع الإمامي المستوفى كل أركان المذهب لم يعرف إلا مؤخراً في ربع القرن الأخير بعد انتشار السودانيين طلاباً وموظفين وعمالاً وتجاراً في الخليج ولبنان وعمان والعراق وأوروبا ودول الساحل الأفريقي شرقية وغربية وكذا الهند وباكستان اللتان تحويان خمس طلاب السودان في الخارج.

وغير ذلك من بلاد حيث لم يعد العالم إلا قرية صغيرة، إلا أن ما أعجب له حقاً هو أن الدارسين في أوروبا وبلاد غير شيعية هم الأكثر والأسرع إلى المذهب وقبوله من أولئك الذين استوطنوا وعاشوا في مجتمعات شيعية كالعراق وشرق الجزيرة.

كان الأخوة هنا تجمعهم جمعية واحدة هي جمعية (التضامن والرسالة) وهم على اختلاف مرجعيات تقليدهم ظلوا على طابعهم السوداني المتسامح دوماً والطيب كما يقال عنه في الخارج دوماً، ولقد اكتشفت هذا فعلاً عندما عاشت مجاميع من فضلاء المسلمين الشيعة في سوريا ولبنان فوجدت أن المذاهب الخلافية ذهبت بهم مذاهب شتى لا يكاد يجمعها جامع ولا يربط بينها رابط، ولله الأمر من قبل ومن بعد وإليه المشتكى والمرتبجى في كل بلية.

ولما كان التشيع - شاء أم أبى - قد ربط بالسياسة وشجونها في العقد الأخير بعد ثورة إيران فقد غلب على جمع منا الاهتمام بالحدث السياسي وصراعاته البغيضة والمقيتة، وما أفرزه من سيئات على سمعة التشيع العلوي الصافي، فقد غلبت على أجوائه هنا سيطرة شخصيات

معينة أنتم أعلم بها منا يصدق عليها القول أنها سياسية في المقام الأول ثم أنها شيعية في مقامات دنيا.

ولذا فقد لا تدهشون إذ عرفتم أن جمعاً منا لم يتعرفوا على السيد المرجع الأعلى أبو القاسم الموسوي الخوئي في حينه إلا من اسمه كأحد العلماء.

بل إن بعضهم لم يعرف قليلاً من قدره العالي ومقامه السامي إلا حين تعدت على حرمة وتجرات على الدنو من سماحته الطاهرة قوات السلطة الطاغوتية في العراق وإذا علمتم أن عملية التعدي على السيد المرجع الأعلى قد صاحبها - وللأسف الشديد - تشويه وتزييف من بعض الشيعة السياسيين ادعاء الثورات الحسينية والفضبات العلوية، فقد يتسنى لحضراتكم تقدير ما يعلق بأذهان هؤلاء الإخوة من مهووسي السياسة والمدفوعين بهاجس الثورة والانقلاب - حول السيد وخط مرجعيته الذي هو خط أجداده عليهم السلام من أهل بيت النبوة.

لن أطيل عليكم وهذه المرة الأولى التي التقيكم فيها، ولا أراني الآن في حاجة إلى أن أوصيكم بالاهتمام بهذا القطر العلوي الهوى الشيعي المحتد.

وليس السودان إذا اعتني به ووصلته نفحات المرجعية الروحية والعلمية والاتصال الوثيق بأقل وزناً وخطراً من دول الشيعة الأخرى في العالم الإسلامي.

ولقد تهيأ لي أثناء زيارتي لسوريا أن أطلع على (النور) فأسعدتني هذه المبادرة الطيبة واللفتة البارة لتدارك ما فات، وإيضفاء جو من الموضوعية والنزاهة على ساحة الإصدارات الشيعية التي عمت العالم من طهران إلى لندن.

والتي غدت تتكلم في كل شيء إلا عن الشيعة والتشيع، كما أن هناك مجلة أخرى أعجبتني وأخذت بكل مشاعري وهي مجلة الموسم للمحقق محمد سعيد الطريحي وفقه الله تعالى.

وكم تمنيت لو ظهرت في الساحة الفكرية والثقافية الشيعية في كل يوم وآخر مثل هذه المطبوعات الهادفة والتي تجد قبولاً واسعاً في نفوس شعوبنا المسلمة الشيعية في كل مكان، أخبرونا عن كل شيء يتعرض لأسرة السيد والمرجع ومولده ودراسته واجتهاده ومرجعياته وتلاميذه وأسانيده وآثاره العلمية والفكرية وخدماته لعامة المسلمين ومؤسساته، ورأيه ومرجعياته حول ما جرى ويجري في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً وكذا خط مرجعية سماحته وسماته العامة، ولقد تهيأ لي الاطلاع على طرف من ذلك كله على صفحات مجلة (الموسم) ومجلة النور.